

في نور محمد فاطمة الزهراء

وزمجرة [1186] كواسر الغاب، لكأنّما الرسول يكاشفها بما يعانيه، لكأنّها ترى مشاعره برأي العين لا بخلجات الأحاسيس. ها هو ذا ينحني على بقايا جثمان عمّه الشهيد، ويهمس لنفسه كأنّه عن دنيا كلّ من حوله بعيد: «لن أصاب بمثلك أبداً!» [1187]. وترجّّه لوعته عنيفةً، وإنّّه للقوي المكين أمام نوائب الدهر، وأفدح الملمّات. ويقول: «لولا أن تجزع صفية ونساؤنا، وتكون سنّةً من بعدي، لتركنا حمزة ولم ندفنه حتّى يحشر من بطون الطير والسباع!» [1188]. ثم نفجر غضبه، ينفر وتينه [1189]، يردد عرينه، تندفع الكلمات ملتهبة من فيه، يحرق لطاها المتسعر قناع الدموع الذي أسدلته على وجهه الفجيعة ... ويوعد بأفطع انتقام: «ما وقفت موقفاً قطّ أغيط إليّ من هذا، وإني، لئن أظهرني الله عليهم يوماً في الدهر، لأُمثّلنّ بهم مثلاً لم يمثّلها أحد من العرب!». أفي فعل؟ وكيف ... وهو السمج العفو الذي أرسله ربّه تعالى رحمةً للعالمين؟ بل يأبى له الله ما اعتزم، فينفص عنه رغبة الانتقام، ويردّ عليه ما أذهب الجزع من صبره، فيفيء إلى حلمه المعهود ... ينزل عليه: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِمْ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبِرُكَ إِلَّا بِرَأْيِ) [1190].